مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 10 عدد: 2 السنة: 2021
ص: 411 - 422 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

ظاهرة التضام في القرآن الكريم : دراسة في ضميمة الصفة والموصوف

The Phenomenon of Inclusion in the Noble Qur'an:A Study in the Enclosure of the Adjective and the Described

* بوزيد أمينة[1]، بابا أحمد رضا[2]

Bouzid Amina [1], Rida Baba Ahmed [2]

جامعة مصطفى اسطمبولي (معسكر)، الجزائر

University Mustapha Stambouli – mascara – Algeria

bouzida467@gmail.com[1] redalog13@live.fr[2]

تاريخ الإرسال:2020/11/05	تاريخ القبول:2020/12/31	تاريخ النشر :2021/06/02

ملخص البحث

هذا البحث عبارة عن دراسة تطبيقية موجزة لإحدى أهم القرائن اللفظية في النحو العربي، ألا وهي : قرينة التضام، وقد لاقت هذه الظاهرة اهتماما بالغا من لدن القدماء وإن لم يصطلحوا على تسميتها بهذا الاسم، حيث عرفت بمصطلحات عدة منها (النظم، الضم، الرصف، المعاظلة ...إلخ)، وعرفت عند اللغويين بمصطلح (التلازم، التركيب، التضام). وقد شغلت هذه الظاهرة تفكير الباحث اللغوي تمام حسان وجسدها في كتابه اللغة العربية "معناها ومبناها" وشرحها بالتفصيل في كتابه "البيان في روائع القرآن"، حيث ارتأى أن يكون التطبيق باتخاذ نماذج من آيات القرآن الكريم باعتباره النموذج الأرقى على الإطلاق، وسنحاول تحليل هذه الظاهرة في القرآن الكريم من خلال دراسة ضميمة الصفة والموصوف عند اللغويين والمفسرين والأصوليين والبلاغيين.

الكلمات المفتاح : تضام، القرآن الكريم، ضميمة، صفة، موصوف.

Abstract:

This research is a brief applied study of one of the most important verbal clues in Arabic grammar, namely: the presumption of inclusion. This phenomenon has met with great interest by the ancients, even if they did not know how to call it, as it was known in several terms, including (systems, annexation, the alignment, the equation, etc.) and was known to linguists by the term (correlation, synthesis, cohesion). This phenomenon occupied the thinking of the linguistic researcher Tamam Hassan in his body in his book "*El-lougha El-Arabia: maɛnaha wa mabnaha*" and explained it in detail in his book "*El-Bayan fi Rawaiɛi El-Qur'an*", where he saw the application

*بوزيد أمينة bouzida467@gmail.com

should be by taking examples of the verses of the Noble Qur'an as it is the highest example ever. Thus, in this paper we will try to analyze this phenomenon in the Noble Qur'an through a study of the enclosure of the adjective and the described in several linguistic environments from scholars of grammar, scholars of interpretation and scholars of rhetoric.
Keywords:collusion, the Holy Quran, enclosure of the adjective and the description.

مهيد:

رفع القرآن الكريم من قيمة الدرس النحوي وأكسبه أهمية في التعامل مع لغة القرآن الكريم خاصة التراكيب التي تعدّ وشيجة من وشائج الإعجاز اللغوي، تهذّب الظواهر اللغوية وتخضعها للغة القرآن الكريم ومنها ظاهرة التضام التي تعتبر من معالم المستوى النحوي في القرآن الكريم، فاللغة العربية تختص بنظام تركيبي خاص حاول علماء العربية الكشف عن قوانينه بوضع جملة من القواعد التي تضبط أواخر الكلم وتجنّب المتكلم الوقوع في الخطأ، فقد اهتم المفسرون لكتاب الله عز وجل بعلم النحو لكونه يساعدهم على فهم النص القرآني يقول السيوطي فيما ينبغي أن يراعيه النحوي الناظر في كتاب الله " على الناظر في كتاب الله الكاشف عن أسراره النظر في الكلمة وصيغتها ومحلها، ككونها مبتدأ أو خبرا أو فاعلا أو مفعولا"، ولكن سرعان ما تطورت هذه الدراسات لتشمل مجالات لغوية نحوية انفردت بها الدراسات العربية عن غيرها.

إنَ المتأمل في هذا النظام اللغوي يدرك أنه يكتسب خاصية الترابط والانسجام من ذلك التأليف الرائع العجيب بين الكلمات والحروف والجمل، حتى إذا اتسع المجال خرج هذا التأليف في نسيج لغوي محكم، لأن الألفاظ في اللغة لا يتضح معناها بمفردها بل لديها حاجة إلى غيرها من الألفاظ لتؤدي معناه وهذه العلاقات التي تربط بين اللفظين نسميها علاقة تضام، على ضوء ما سبق نطرح مجموعة من التساؤلات نرجو الإجابة عنها من خلال هذا البحث: ماذا نقصد بالتضام، ما هي أقسامه وأنواعه ومظاهره، وكيف يسهم التضام بين الصفة والموصوف في تحقيق الدلالة النصية في القرآن الكريم؟

1/ مفهوم التضام:

أ- المفهوم اللغوي:

ب-ورد مفهوم التضام في معاجم وقواميس عربية كثيرة منها ما جاء عند ابن منظور في لسان العرب "فهو من مادة (ضمم)، الضَم: ضم الشيء إلى الشيء أي جمعه، وضَمه إليه يضمَه ضمَا فانضمَ وتضامَ، تقول ضممت هذا إلى هذا، فهو ضامّ ومضموم، تضام القوم إذا انضم بعضهم إلى بعض"[1].

وفي الصحاح للجوهري " ضممت الشيء إلى الشيء فانضمَّ إليه وضامَّه، وفي حديث ضمَ جناحك عن الناس أي ألن جانبك لهم وأرفق بهم، وفي حديث زبيب العنبري: عدَني من رجل من جندك ضمَ مني ما حرَم الله ورسوله أي أخذ من مالي وضمَه إلى ماله، وضامَ الشيء الشيء انضم معه، وتضامَ القوم إذا انضمَ بعضهم إلى بعض ويروى لا تُضامّون على صيغة ما لم يسم فاعله[2].

كما قال ابن سيده: ولم أر ضام متعديا إلا فيه، ويروى تضامون عن الضيم، وهو مذكور في موضعه بمعنى الظلم. قيل عن قوم أبي ذؤيب[3]:

فألفى القوم قد شربوا فضموا أمام القوم منطقهم نسيف

يقصد أنهم اجتمعوا وضموا إليهم دوابهم ورحالهم، فحذف المفعول وحذفه كثير[4].

"والضاد والميم أصل واحد يدل على ملائمة بين شيئين، يقال ضممت الشيء إلى الشيء، فأنا أضمه ضما وهذه إضمامة من خيل أي جماعة ويقال أسد ضمضم وضماضم يضم كل شيء"[5].

ويقول الجوهري الضم الاشتمال: تضام القوم إذا انضم بعضهم إلى بعض واضطمت عليه الضلوع أي اشتملت"[6].

وفي القاموس المحيط باب الميم فصل الضاد: " الضم قبض شيء إلى شيء ضمه فانضم إليه تضام وضامه واضطم الشيء جمعه إلى نفسه، الإضمامة بالكسر الجماعة، الأضاميم: جماعات خيل واضطم عليه اشتمل"[7].والملاحظ أن المعاني التي حملتها هذه المادة المعجمية – مادة ضمم- تدل في مجملها على عبارات الاشتمال والمعانقة والانطواء والقبض.

ب- المفهوم الاصطلاحي:

التضام هو أن تستدعي الكلمة كلمة أخرى في السياق أو الاستعمال أو هو إيراد كلمتين أو أكثر لخلق معنى أعم من معنى كضم حرف النداء أو حرف الجر إلى الاسم أو ضم الصلة إلى الموصول أو ضم فعلي الشرط إلى أداة الشرط[8].

يجعل تمام حسان فهم التضام بشكل عام ممكنا من وجهين هما:

الوجه الأول:

التضام هو الطرق الممكنة في رصف جملة ما فتختلف طريقة منها عن الأخرى تقديما وتأخيرا وفصلا ووصلا، ويمكن أن نطلق على هذا الفرع من التضام مصطلح التوارد وهو بهذا المعنى أقرب إلى اهتمام دراسة الأساليب التركيبية البلاغية الجمالية منه إلى دراسة العلاقات النحوية والقرائن اللفظية.

الوجه الثاني:

يقصد به أن يستلزم أحد العنصرين التحليليين النحويين عنصرا آخر فيسمى التضام "بالتلازم"، أو يتنافى معه فلا يلتقي به ويسمى التنافي، وعندما يستلزم أحد العنصرين الآخر فإنَ هذا الآخر قد يدل عليه بمعنى وجودي على سبيل الذكر أو يدل عليه بالمبنى العدمي على سبيل التقدير بسبب الاستتار أو الحذف[9] وعدم ظهور العلامة الإعرابية، وتجنبا للبس يكون الذكر قرينة على المعنى المراد. وقد استقى هذه الظاهرة من التراث النحوي البلاغي العربي حيث يشير إليها عبد القاهر الجرجاني في قوله " فينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها التأليف وقبل أن تصير إلى الصورة التي يكون بها الكلم إخبارا وأمرا ونهيا واستخبارا وتعجبا، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل لإفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة وبناء لفظة إلى لفظة"[10].

والتضام في نظره ليس اتصال اللواصق بالكلمة، فاتصال اللواصق ضم جزء كلمة إلى بقية هذه الكلمة بل هو تطلب إحدى الكلمتين للأخرى في الاستعمال على صورة تجعل إحداهما تستدعي الأخرى، فياء النداء كلمة مستقلة وليست جزء كلمة والعلاقة بينهما وبين المنادى علاقة التضام لا علاقة الإلصاق، نلاحظ أن تعريف تمام حسان للتضام وفهمه له صاحبته معاني الاستلزام والرصف، وقد أوجز مظاهره في التركيب القرآني في الحذف، الزيادة، الفصل، الاعتراض، إدخال اللفظ على غير مدخوله، التضمين وإغناء أحد العنصرين عن الآخر والشروط التركيبية الضرورية لتأليف ألفاظ السياق.

ويعتبر **الافتقار** أهم مظهر للتضام ونقصد به افتقار عنصر نحوي لآخر ليتم المعنى كافتقار الجار للمجرور، والفاعل للمفعول، والمبتدأ للخبر، والمضاف للمضاف إليه والصفة للموصوف وهذه الأخيرة هي التي نتناولها بالشرح والتحليل علما أن كل هذه المظاهر تتجلى عبر المبنى الوجودي للتضام. يظهر التضام بوضوح بين التابع والمتبوع والمفسر والمفسَر والتمييز والمميز والضمير ومرجعه، تحمل الضمير وعدمه، والمطابقة بين العنصرين والرتبة بينهما والفصل والوصل، الافتقار والاختصاص، والاقتران والعامل والمعمول، تقرير الجملة والتركيب...[11]

" إن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلمات، وإنما تظهر بالضم على طريقة مخصوصة، فقولهم بالضم لا يصح أن يراد به النطق باللفظة بعد اللفظة من غير اتصال يكون بين معنييهما، لأنه لو جاز أن يكون لمجرد ضم اللفظ إلى اللفظ تأثير في الفصاحة لكان ينبغي إذا قيل "ضحك خرج" أن يحدث من ضم خرج إلى دخل فصاحة، وإذا بطل ذلك لم يبق إلا أن يكون المعنى في ضم الكلمة إلى الكلمة توخى معنى من معاني النحو فيما بينهما وقولهم على طريقة مخصوصة يوجب ذلك أيضا وذلك أنه لا يكون للطريقة إذا أردت مجرد اللفظ وهذا سبيل كل ما قالوه إذا أنت تأملته تراهم في الجميع قد دفعوا إلى جعل المزية في معاني النحو وأحكامه من حيث لم يشعروا ذلك لأنه أمر ضروري لا يمكن الخروج عنه"[12].

عند دراسة الجملة العربية نجد ألفاظا لا يتضح معناها إلا بوجودها مع غيرها من الألفاظ سواء كانت اسما أم فعلا أم حرفا فهذه العلاقة التي تربط بين اللفظتين هي علاقة تضام[13]، والتضام هو إحدى القرائن الشكلية التي تساعد على تحديد مواقع بعض الكلمات بين أقسام الكلمة وهو من العناصر المهمة التي تكون نظام تأليف العبارة في اللغة العربية[14]، تجمع كل هذه المعاني في عبارة واحدة ترتبط بالجمع والاشتمال والضم والاحتواء والوصل.

ييسر التضام طول الكلام وامتداده فقد تقبل لفظة تركيبيا أن تتلى أو تسبق بكلمة، ولا تقبل غيرها، وقد استخدم ابن مالك هذه الظاهرة حين قال:

بالجر والتنوين والندا وال ومسند لاسم تمييز حصل

سواهما الحرف كهل وفي ولم فعل مضارع يلي لم كيشم

فالأسماء تقبل مثلا أن تضام " ياء النداء" معها أما الأفعال المضارعة فلا تقبل ذلك في حين تقبل التضام مع "لم" التي تأتي سابقة عليها.

من الثابت في النحو العربي أن التركيب الوصفي يتكون من موصوف وصفة، وأن الصفة يجب أن تتأخر عن الموصوف، كما يجب أن تكون تابعة له في الإعراب وبذلك يكون الموصوف هو محور اهتمام السياق وتكون الصفة كالحلية للموصوف تحدده وتوضحه وتبينه ومن ذلك قوله سبحانه " وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه ..." هنا ثلاث صفات للموصوف رجل، ولكننا عندما نتأمل التركيب الوصفي في القرآن الكريم نجده يرتقي عن التراكيب الأخرى ببعض التغيرات التركيبية التي استطاعت أن تغير من الثوابت النحوية وذلك حسب درجة اهتمام السياق بالصفة الذي أخرجها من قمة الإهمال إلى قمة العناية والاهتمام.

2/مفهوم الصفة:

عرّف النحويون الصفة بصيغ وأساليب لغوية مختلفة إلا أنها لا تبتعد بجملها عن كون الصفة تابعا سيق لغرض معنوي يتعلق بموصوفه، وهذا السوق اقتضى اتباعاً لفظياً وهو متابعة متبوعه في الإعراب، والتعريف والتنكير، والإفراد والتثنية والجمع، ولذا عرّفه النحويون بأنه: " التابع الذي يكمل متبوعه بدلالته على معنى فيه أو فيما يتعلق به"[15] أو هو "تابع مشتق أو مؤول به يفيد تخصيص متبوعه أو توضيحه أو مدحه أو ذمه أو تأكيده أو الترحم عليه، ويتبعه في واحد من أوجه الإعراب ومن التعريف والتنكير ولا يكون أخص منه"[16]، وكذلك يجب أن يتابع متبوعه في التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع"[17] وقد عرفه أحد الدارسين المحدثين بقوله "تابع يكمل متبوعه أو سببي المتبوع بمعنى جديد يناسب السياق ويحقق الغرض"[18]، فالصفة إذاً شكل تعبيري في الوصف يماثل موصوفه في السمات النحوية جميعها ويوضح معنى مخصوصاً في الذات الموصوفة[19].

الصفة (وتسمى النعت) من المتممات هي اسم مشتق يدل على صفة في اسم قبله يسمى الموصوف وهي تفيد توضيحه إن كان معرفة وتخصيصه إن كان نكرة، نركز على الذكر كسبيل لمبنى وجودي لأجل توضيح سبب تأخر الصفة عن الموصوف دلاليا فقد ورد في قوله تعالى" هذا صراط علي مستقيم"[20].

3- الفصل بين الصفة والموصوف:

لا يجوز الفصل بينها إلا ان يكون الفاعل جملة معترضة تؤكد الكلام أو تبين معنى من معانيه يقول ابن عصفور (ت669هـ) في شرحه لجمل الزجاجي (ت337هـ) " اعلم انه لا يجوز

الفصل بين الصفة والموصوف بأجنبي " ونعني بالأجنبي ما ليس بصفة، إلا أن يكون الفاصل جملة اعتراض، وجملة الاعتراض هي التي يكون فيها تأكيد الكلام وتبيين لمعنى من معانيه ... ولا يجوز فيها عدا ذلك إلا في ضرورة الشعر"[21].

ومما يجوز من الفصل بين الموصوف وصفته فيما عدا الاعتراض الفصل بأجنبي غير محض كالفصل بين الموصوف وصفته بمعمول الصفة كقوله " ذلك حشر علينا يسير"[22]، فالجار والمجرور ليسا أجنبيا محضا عن الصفة، وكذلك ما كان معمولا للموصوف نحو قولنا تسرني قراءتك الكتاب الجادة، والفصل بالمبتدأ ورد في قوله تعال: " قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض"[23] الفصل بالفاعل في قوله تعالى" هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربَّك أو يأتي بعض آيات ربَك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا"[24]، الفصل بالخبر: "الله لا إله إلا هو الحي القيوم"[25].

4- الاعتراض بين الصفة والموصوف:

ورد في قوله تعالى :" إنه لقسم -لو تعلمون- عظيم"[26] جملة معترضة بين الصفة والموصوف الصفة " قسم" الموصوف " عظيم" والغرض منها تعظيم شأن ما أقسم به من مواقع النجوم وتأكيد إجلاله بالنفوس، وقيل أن مواقع النجوم أوقات وقوع نجوم القرآن أي أوقات نزولها وهو من الإعجاز العلمي، أما قوله "وإنه لقسم لو تعلمون عظيم"[27] فهي جملة اعتراضية بين القسم وجوابه (المقسم عليه) اعتراض فيه اعتراض فالجملة الكبرى اعتراض بين القسم وجوابه واعترض بـ " لو تعلمون" بين الموصوف وصفته هذا ما يراه الزمخشري[28].

وقد وقع الاعتراض لغرض ومعان تظهر من خلال النص كالتأكيد مثلا فالجملة المعترضة وان كانت مستقلة من الناحية النحوية عما قبلها وما بعد فإنها متصلة بالكلام الذي وقعت في ثناياه من ناحية المعنى، لأن المتكلم قد أراد بها تقوية كلامه، فالصفة والموصوف إذا من المتضامين والاعتراض من وسائل الفصل بينهما رغم أنه ليس له وظيفة نحوية داخل التركيب إلا أنه يلعب دورا بارزا داخل السياق الذي وقعت فيه فهي تقوي المعنى وتأكده خاصة في التركيب القرآني حيث تعتبر من المباحث الإعجازية في القرآن الكريم.

5- حذف الموصوف:

"اعلم أن الموصوف يحذف كثيرا إن علم، ولم يوصف بظرف أو جملة كقوله تعالى "وعندهم قاصرات الطرف عين"[29]، فإن وصف بأحدهما جاز كثيرا أيضا بالشرط المذكور بعد، لكن لا كالأول في الكثرة لان القائم مقام الشيء ينبغي أن يكون مثله، والجملة مخالفة للمفرد الذي هو الموصوف، وكذا الظرف والجار، لكونهما مقدرين بالجملة على الأصح، وإنما يكثر حذف موصوفهما، بشرط أن يكون الموصوف بعض ما قبله المجرور بمن أو في، قال عز وجل "ومنا دون ذلك"[30]، وقال: "وما منا إلا له مقام معلوم "[31] أي ما من ملائكتنا إلا ملك له مقام معلوم[32]، يقوم النعت مقام المنعوت كثيرا إن علم جنسه، ونعت بغير ظرف أو جملة أو بأحدهما بشرط كون المنعوت بعض ما قبله مجرور" بمن أو في" ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم أي من حرة مشركة. "له فيها من كل الثمرات"[33] أي رزق من كل الثمرات، أو ثمرات من كل الثمرات، قال تعالى "إنَ الله عليم بذات الصدور"[34] الأصل عليم بالمضمرات ذوات الصدور، ثم حذف الموصوف وغلبت إقامة الصفة مقامه، وقوله: "واغضض من صوتك"[35] أي شيئا من صوتك وعلى مذهب الأخفش تكون من زائدة، وقال تعالى "ولا تزر وازرة وزر أخرى"[36] الموصوف محذوف، أي نفس وازرة أخرى.

6- حذف الصفة:

فيما يخص حذف الصفة وإقامة الموصوف مقامها فإنه أقل وجودا ولا يكاد يقع في الكلام إلا نادرا ومن ذلك ما حكاه سيبويه من قولهم: سير عليه ليل، وهم يريدون ليل طويل، حذفت الصفة في هذا الموضع لما دل من الحال عليه، وذاك أنه يحسن في كلام القائل لذلك من التصريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل، وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته وهو أن يكون في مدح إنسان والثناء عليه فتقول: كان والله رجلا أي رجلا فاضلا، أو شجاعا أو كريما أو ما جرى مجرى هذه الصفات، فعلى هذا ونحوه تحذف الصفة هذا إن تحققت الدلالة من لفظ تقدمها أو تأخر عنها أو فهم ذلك من شيء خارج عنها أما غير ذلك فإن حذفها لا يجوز، فمن أمثلة الصفة التي تقدمها ما يدل عليها قوله تعالى "أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا"[37] أي كان يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا، ويدل على المحذوف قوله "فأردت أن أعيبها" فإن عيبه إياها لم يخرجها عن كونها سفينة، وإنما المأخوذ هو الصحيح دون المعيب فحذفت الصفة هنا لأنه تقدمها ما يدل عليها،

ورد أيضا في قوله تعالى "قل يا أهل الكتاب لستم على شيء"[38] أي لستم على شيء نافع أو ذي قيمة.

7- إضافة الموصوف إلى الصفة:

استعمل السياق القرآني التركيب الإضافي عوض استعمال التركيب الوصفي جاء في قوله تعالى "هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون"[39] استعمل في هذه الآية التركيب الإضافي " دين الحق" بدل التركيب الوصفي "الدين الحق"، إن تحول التركيب الوصفي إلى تركيب إضافي له بعده الدلالي العظيم ذلك أن التركيب الوصفي يتكون من عنصرين يجوز الفصل بينهما وهما الصفة والموصوف أما التركيب الإضافي يتكون من عنصرين لا يجوز الفصل بينهما إلا لضرورة وهما المضاف والمضاف إليه، ومن ثم فإن تحول التركيب الوصفي إلى تركيب إضافي – وهو عينُ التضام ما دام صفة مستقرة تابعة للمضاف إليه- يهدف إلى إكساب هذا التركيب الوصفي ضربا من التلاحم بين الموصوف والصفة، فلا يجوز الفصل بينهما في هذه الحالة مثلما لا يجوز الفصل بين المضاف والمضاف إليه.

ومنه فإن هذا التحول التركيبي يترتب عليه تحول دلالي يتمثل في الارتقاء بدلالة التركيب من مجرد إفادة ارتباط الموصوف بالصفة برابط التبعية إلى إفادة تلاحم الموصوف بالصفة بلحام الإضافة، أو بصيغة أخرى يترتب عليه ارتقاء البعد الدلالي للتركيب من مجرد تبيين الموصوف بالصفة في النمط الوصفي إلى إفادة تأكيد ملازمة الموصوف للصفة فلا ينفصل عنها أبدا في التركيب الإضافي، فالتركيب الوصفي الآتي "الدين الحق" يعني الدين الموصوف بصفة الحق وصفا طارئا يمكن أن يزول عنه في وقت ما، أما التركيب الإضافي "دين الحق" يعني الدين الموصوف أبدا بصفة الحق فلا يمكن أن ينفصل عنها بأي حال من الأحوال، وهناك عدة تراكيب مماثلة في السياق القرآني مثل وعد الحق في قوله سبحانه " إنَ الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم"[40]، قول الحق في قوله سبحانه "ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون"[41].

8- ربط الصفة والموصوف برابط الجر:

النمط المشهور في النحو هو ذكر الموصوف تليه الصفة تابعة له، ولكن قد يذكر الموصوف ثم تذكر الصفة بعده مسبوقة بحرف الجر من فيكون هو الرابط بينهما، ويفيد ملازمة الموصوف

للصفة ومن ذلك قوله سبحانه "فأتوا بسورة من مثله"[42] فالأصل: فأتوا بسورة مثله. وقوله: "وحلوا أساور من فضة"[43] أي أساور فضة وبالتالي الموصوف هنا هو محور اهتمام السياق.

نستنتج مما سبق أن اتساع اللغة العربية وشموليتها أهلها بحق لتكون لغة اصطفاها الله تعالى ترجمانا لوحيه ولغة رسالته إلى خلقه وكفى بالقرآن الكريم إلماما بجميع ميادينها وعلومها إذ لا يزال ملاذ العلماء وميدانهم الفسيح للبحث والتنقيب، ولا تزال موضوعاته تشغل بال الدارسين باعتبار اللغة المتضمنة في النص القرآني هي لغة معيارية فقد كانت في كل مرة هدفا بارزا للدراسات والأبحاث اللغوية وفق المناهج اللسانية الحديثة، خاصة علم النحو الذي انتقينا موضوعا من أهم موضوعاته ألا وهو موضوع الصفة والموصوف الذي تتجلى فيهما ظاهرة التضام وكان السياق القرآني الميدان الذي ترتقي فيه الصفة من مجرد موضوع إلى ظاهرة حيث أولاه عناية واهتمام فائقين باعتبارها من المتلازمين.

ومن أهم ما توصلنا إليه من نتائج في هذا البحث ما يلي: إنّ تبدّل العلائق النّحويّة من تركيبيّة إلى إضافيّة هو تثبيتٌ للمعنى و تمكينه في الموصوف بحيث يجعل منه ثابتا و مستقرا و معبّرا عن معنى دلالي أكثر تجسيد للصّورة. ينقسم التضام إلى قسمين رئيسيين تناولنا في بحثنا قسما واحدا ألا وهو التضام الإيجابي "أهم مظهر للتضام" يتجلى في الافتقار ويقصد به افتقار عنصر لغوي لآخر ليتم المعنى كافتقار الصفة للموصوف وتحدثنا عن حالات الفصل والاعتراض بين الصفة والموصوف وإضافة الموصوف إلى الصفة، يمكن أن تتطور الصفة والموصوف إلى نظرية في أبحاث أخرى إن شاء الله والله ولي التوفيق.

هوامش:

[1] ابن منظور، لسان العرب، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط3، 1419هـ-1999م، ج4، ص88.

[2] نفسه، ص89.

[3] الهذلي أبو ذؤيب، الديوان، تحقيق سهام المصري، بيروت – دمشق- عمان، المكتب الإسلامي، 1419هـ/1998م، ص 170.

[4] ابن منظور، لسان العرب، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، مرجع سابق، ج4، ص88.

[5] ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، د.ط، د.ت، باب الضاد في المضاعف والمطابق، ج3، ص357.

[6] الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط4، 1990، مج 6، ص1972-1973.

[7] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، موشي الحواشي، تقديم محمد عبد الرحمن المرعشي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط2، 1422ه/2003م، ص1143.

[8] الساقي فاضل مصطفى، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1429ه، ص196.

[9] حسان تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 1994م ، ص216.

[10] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2004م ، ص35.

[11] حسان تمام، البيان في روائع القرآن، دراسة أسلوبية ولغوية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 2009م، ص153.

[12] الرماني والخطابي والجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن تحقيق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط3، ص202.

[13] ينظر: عزيز كوليزار كاكل، القرينة في اللغة العربية، دار دجلة، بغداد، العراق، ط1، 2009م ص108.

[14] ينظر: الساقي فاضل مصطفى، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مرجع سابق، ص196.

[15] ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك في ألفية ابن مالك، تح يوسف البقاعي، 3، ص270.

[16] ابن هشام، شرح شذور الذهب، تحقيق عبد الغني الباقر، ص555.

[17] ينظر، شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، 191/3.

[18] حسن عباس، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط3، د.ت، 437/3.

[19] ينظر: الياسري فاخر هاشم، النعت في التركيب القرآني، ج1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2009م، ص49.

[20] سورة الحجر/الآية 41.

[21] ابن عصفور، شرح جمل الزجاجي، تح: صاحب ابو جناح، مكتبة الاسكندرية، د.ط، د.ت، ص222/221.

[22] سورة ق/ الآية 44.
[23] سورة إبراهيم/ الآية 10.
[24] سورة الأنعام/ الآية 159.
[25] حسان تمام، البيان في روائع القرآن، مرجع سابق، ص390-391.
[26] سورة الواقعة/ الآيات 75-77.
[27] سورة الواقعة / الآية 76.
[28] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الإحياء العربي، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م، ج4، ص58.
[29] سورة الصافات / الآية 48.
[30] سورة الجن/ الآية 11.
[31] سورة الصافات/ الآية 164.
[32] حسان تمام، البيان في روائع القرآن، ص 183.
[33] سورة البقرة/ الآية 265.
[34] سورة آل عمران/ الآية 119.
[35] سورة لقمان / الآية 18.
[36] سورة الإسراء / الآية 15.
[37] سورة الكهف / الآية 78.
[38] سورة المائدة / الآية 70.
[39] سورة الصف / الآية 9.
[40] سورة إبراهيم / الآية 24.
[41] سورة مريم/ الآية 33.
[42] سورة البقرة/ الآية 22.
[43] سورة الإنسان/ الآية 21.